

﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ ﴿١٢٤﴾ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٥﴾
 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
 عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِيَّاهُ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الشعراء: 123 - 127]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

لَمَّا قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّد ﷺ نَبَأَ نُوحٍ ﷺ الَّذِي كَانَ نَبُوهُ
 مَعَ قَوْمِهِ أَعْظَمَ مِنْ أَخْبَارِ غَيْرِهِ، وَظَلَّ يَدْعُوهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ
 عَامًا، وَمَعَ ذَلِكَ كَذَبَهُ قَوْمُهُ^(١)، فَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَوَّلَ الْأَقْوَامِ وَأَطْوَلَهُمْ
 عَمْرًا، وَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ، وَكَيْفَ أَغْرَقُوا؛ نَاسَبَ أَنْ يَقْصَّ هُنَا نَبَأَ هُودٍ
 ﷺ مَعَ قَوْمِهِ (عَاد)، وَهُمْ الْقَوْمُ الْأَعْتَى وَالْأَقْوَى، وَالْأَكْثَرُ إِنْعَامًا عَلَى
 الْأَرْضِ، وَتَفَنَّنَا فِي تَرْوِيضِ الطَّبِيعَةِ مِنْ حَوْلِهِمْ.

إِتْبَاعُ قِصَّةِ
 قَوْمِ نُوحٍ الْأَكْثَرِ
 تَكْذِيبًا قِصَّةَ قَوْمِ
 هُودٍ وَهُمْ الْأَشَدُّ
 وَالْأَعْتَى

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿عَادٌ﴾: أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ الْبَائِدَةِ، وَكَانُوا عَشْرَ
 قَبَائِلَ، وَقِيلَ: ثَلَاثَ عَشْرَةَ قَبِيلَةً، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَادِ بْنِ عَوْصٍ، وَعَوْصُ
 هُوَ ابْنُ إِرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ، كَذَا اصْطَلَحَ الْمُؤَرِّخُونَ، وَكَانَتْ مَسَاكِنُهُمْ
 بِالْأَحْقَافِ بِالْيَمَنِ⁽²⁾.

(2) ﴿أَخُوهُمْ﴾: هُوَ الْمَشَارِكُ الْآخَرُ فِي الْوِلَادَةِ مِنَ الطَّرْفَيْنِ،
 أَوْ مِنْ أَحَدِهِمَا أَوْ مِنَ الرِّضَاعِ، وَيُسْتَعَارُ فِي كُلِّ مَشَارِكٍ لغيرِهِ فِي
 الْقَبِيلَةِ، أَوْ فِي الدِّينِ، أَوْ فِي صُنْعَةٍ، أَوْ فِي مُعَامَلَةٍ أَوْ فِي مَوَدَّةٍ، وَفِي
 غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُنَاسِبَاتِ، وَالْأَخُوَّةُ إِذَا كَانَتْ فِي غَيْرِ الْوِلَادَةِ؛ كَانَتْ
 لِلْمَشْكَلَةِ وَالْاجْتِمَاعِ فِي الْفِعْلِ، نَحْوُ: هَذَا الثُّوبُ أَخُو هَذَا، قَوْلُهُ تَعَالَى:

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 520 / 24.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: 1 / 207، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8 - ب / 200، وابن منظور،

لسان العرب: (عود).

﴿كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ [الإسراء: 27]، أي: مُشاكلوهم⁽¹⁾، وقد يكون الأخ: الصديق والصاحب، ومنه قولهم: وَرَبَّ أَخٍ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ⁽²⁾، والمراد بالأخ في الآية: المشارك في نسب القبيلة.

(3) ﴿أَجْرٍ﴾: (أجر) أَصْلَانِ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا بِالْمَعْنَى، فالأَوَّلُ الكِرَاءُ على العَمَلِ، والثَّانِي جَبْرُ الْعَظَمِ الْكَسِيرِ⁽³⁾، ومنه سُمِّيَ الثَّوَابُ أَجْرًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْعَبْدَ عَلَيْهِ، وَالْأَجْرُ: الْعَوْضُ، مَصْدَرٌ أَجَرَهُ وَآجَرَهُ يَأْجِرُهُ وَيَأْجِرُهُ، وَالْأَجِيرُ: فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ أَوْ مُفَاعَلٍ، وَالِاسْتِجَارُ: طَلَبُ الشَّيْءِ بِالْأَجْرَةِ⁽⁴⁾، والمقصود بالأجر في الآية: الْعَوْضُ وَالْجَزَاءُ عَلَى الْعَمَلِ⁽⁵⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

يحكي الله سبحانه وتعالى جانباً من قصة هود عليه السلام مع قومه، فيقول: كَذَّبَتْ قَبِيلَةٌ عَادٍ رُسُلَ اللَّهِ بِتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُمْ هُودًا - فَتَكْذِيبُهُمْ لَهُ تَكْذِيبٌ لِّغَيْرِهِ - حِينَ قَالَ لَهُمْ هُودٌ، وَهُوَ أَخُوهُمْ فِي النَّسَبِ: أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ، وَتَحْذَرُونَ عِقَابَهُ، فَتَوَحَّدُوهُ، وَتَتْرَكُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ؟ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ، أَمِينٌ عَلَى وَحْيِهِ الَّذِي بَعَثَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ، فَأَبْلَغُكُمْ رَسُولَتَهُ بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ، فَاتَّقُوا سَخَطَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ، وَأَطِيعُونِي، وَمَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ عَلَى نُصْحِي لَكُمْ ثَوَابًا وَلَا جَزَاءً؛ مَا أَرْجُو ثَوَابِي إِلَّا مِنَ اللَّهِ الْخَالِقِ الرَّازِقِ، الْمَالِكِ الْمُدَبِّرِ لَجَمِيعِ الْعَالَمِينَ دُونَ غَيْرِهِ⁽⁶⁾.

(1) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (أخ).

(2) الزبيدي، تاج العروس: (أخو).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر).

(4) الراغب، المفردات: (أجر).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8 - أ / 28.

(6) ابن جرير، جامع البيان: 17 / 606، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13 / 119، وابن كثير، تفسير

القرآن العظيم: 6 / 151.

أسلوب الداعية
إلى الله يجب أن
يكون لطيفاً دون
تنفير

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلاغة فصل جملة ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ عما سبقها:

قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ جملة مُستأنفة استئنافاً تعدادٍ لأخبار التَّسْلِيَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ ، وتكرير الموعظة للمُكذِّبين بعد جملة: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشُّعراء: 105) (1).

دلالة التعبير بالماضي ﴿كَذَّبَتْ﴾ مادةً وصيغةً:

في قوله سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ اقترن الفعل ﴿كَذَّبَتْ﴾ بتاء التَّأْنِيثِ؛ لأنَّ اسمَ ﴿عَادٌ﴾ علمٌ على أُمَّةٍ، فهو مُؤَوَّلٌ بمعنى الأم (2)، فقد أَسَدَ كَذَّبَتْ إلى ﴿عَادٌ﴾، وفيه علامة التَّأْنِيثِ، من حيث إنَّها في معنى الأُمَّة والجماعة على نسق قوم نوح؛ إذ سبقت قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ إذ أنَّه باعتبار القبيلة (3).

سِرُّ تخصيص التعبير بلفظ ﴿عَادٌ﴾:

خصَّ السِّياقُ القرآنيُّ قومَ عادٍ بالذكر بقوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ لجملة أمورٍ، الأوَّلُ: أنَّه في الأصل اسمُ أبيهم (4)، والثَّاني: أنَّهم القومُ الذين أُرسل إليهم هودٌ ﷺ خاصَّةً، قال: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: 65]، والثَّالثُ: لعظيم شأنهم بين الأمم، ولما كانوا يملكونه من القدرات والمهارات التي جعلتهم يحكمون الأرض في ذلك الزَّمان، ودلَّ على ذلك طلبهم الخلود، والرَّابع: ما جاءهم من الآيات البيِّنات التي يؤمن بها المنصِفون وأهل الاستقامة والقلوب السَّليمة.

إيثار لفظ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ مادةً وصيغةً:

أخبر البيانُ الحكيم عن قوم هودٍ أنَّهم كَذَّبوا المرسلين؛ لأنَّهم وإن كَذَّبوا هودًا فحسب فإنَّ تكذيبه في المعنى يتضمَّن تكذيب غيره:

التَّأْنِيثُ باعتبار
القبيلة

إطلاق اسمِ
(عاد) على قوم
هود؛ لأنَّه في
الأصل اسمُ
أبيهم

تكذيبُ ما جاء
من عند الله
من التَّشْرِيعَاتِ
والْأَوَامِرِ
والتَّوَاهِي

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 164 / 19.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 164 / 19.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 145 / 4.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 145 / 4.

لأنَّ طريقةَ معرفةِ الرُّسل لا تختلف، فمن حيثُ المعنى حكى عنهم أنَّهم كَذَّبُوا المرسلين⁽¹⁾، بمعنى: أنَّهم كَذَّبُوا ما جاء من عند الله من التَّشريعَات والأوامر والنَّواهي، فهم قد كَذَّبُوا المبدأ الأوَّل، الذي هو التَّصديقُ بالوحي من السَّماء، ثمَّ إنَّهم قد تحمَّلُوا آثامَ جميع الأمم بعدهم ممَّن كَذَّبَ بالرَّسالة السَّمَاوِيَّة؛ لأنَّهم قدَّمُوا النموذج السيِّئ بعد قوم نوح في تاريخ الرِّسالات كُفْرًا وإِعراضًا، ولو أنَّهم آمنوا؛ لوصلت أخبارهم إلى النَّاس من بعدهم، ولأصبحوا نموذجا يُحتذى به في الإيمان والتَّصديق، باعتبار أنَّهم آمنوا مع ما كان عندهم من القوَّة والمنعة، ولعلَّ ما يُذكر في هذا الصَّدَد ما جاء في قصَّة قوم يونس؛ إذ حاجَّ اللهُ بهم الأَقوامَ كُلَّها، فقال: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَتْهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: 98].

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْجَمْعِ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ بَدَلِ الْمَفْرَدِ:

قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ شبيهٌ بنظيره في قصَّة نوح ﷺ سواء، مع اختلاف أنَّ عادًا كَذَّبُوا رسولهم هودًا ﷺ، وكَذَّبُوا كذلك رسالة نوح؛ لأنَّ هودًا وعظهم بمصير قوم نوح في آية: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً﴾ [الأعراف: 69].

بلاغةُ فصلِ جملةٍ ﴿إِذْ قَالَ﴾:

جملة: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾، فُصِّلَتْ عن قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ إذ إنَّ الجملة الثَّانية جاءت مُبَيَّنَّة مُفَصَّلَةً للجملة الأولى موضحة لها، فتكون الثَّانية بمنزلة عطف بيان من الجملة الأولى، هذا وأنَّ الجملتين خبريتان، فتكون العلاقة بينهما هي كمال الاتِّصال، ممَّا يُقرِّر الفصل بينهما، فبيَّنت الآية أنَّ هودًا ﷺ دعاهم إلى تقوى الله والرُّجوع عن التَّكذيب، والإصرار على الكفر.

كَذَّبَتْ عَادُ
رِسَالَةَ هُودٍ
ورِسَالَةَ نُوحٍ مِنْ
قَبْلِهِ

بيانُ ما جاء في
خطاب هود
لقومه

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 520 / 24.

معنى ﴿إِذْ﴾، وإيثار التعبير بفعل (القول) مَادَّةٌ وصيغةٌ:

معلوم أنَّ ﴿إِذْ﴾ ظرفٌ للمضي في أصل وضعها، وتفيد في قوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ﴾ معنى التعليل، فجاء بعدها بيان الجملة السابقة ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾، فعلٌ ذلك الخبر بأنَّ الله قد أرسل إليهم رسولاً منهم، فاستكبروا، وكذبوه.

وتُستخدمُ أفعالُ القول في سياق ذِكْرِ أنَّ فلاناً قال ما سيأتي؛ لفائدة ربط السرد بالحوار، واستعمال صيغة الماضي؛ لارتباطه بفعل ماضٍ سابقٍ، هو قول قومه، والتّصريح بالقول دليلٌ على العناية بمضمون ذلك القول، فهو كالتّصريح المنقول تماماً؛ إذ يُعلم أنَّ هوداً عليه السلام، قال هذا القول كما ورد في النصّ.

غرضُ تقديم الجار والمجرور ﴿لَهُمْ﴾:

قدّم الجارّ والمجرور: ﴿لَهُمْ﴾ على ﴿أَخُوهُمْ﴾، في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ﴾ لفائدة التّخصيص، أي: قصر قول أخيهما عليهم؛ لأنّهم المعنيّون بهذه الرّسالة.

سِرُّ الإضافة في ﴿أَخُوهُمْ﴾، وإيثار لفظ الأخوة:

أثر السّياق القرآني استعمال كلمة ﴿أَخُوهُمْ﴾ بدلاً من قوله: (نبيهم) أو (رسولهم)؛ لأنّه كان منهم، من ذلك قول العرب: (يا أبا بني تميم) يريدون: يا واحداً منهم⁽¹⁾، ثمَّ إنّ فائدتها - مع أنّه رسول الله، وهم في العموم غيرُ مؤمنين بالرّسالة - هو ترغيبهم بالإيمان، وتشويقهم إلى كسب رضا الله سبحانه، وفائدة أخرى هي أنّ كلّ نبيٍّ يأتي من أصل قومه، فيكون عالماً بطبائع مجتمعاتهم، قادراً على دعوتهم بما يُناسبهم، ويكون ذلك حُجَّةً عليهم أنّ الذي أُرسل إليهم هو قريبهم أو واحدٌ منهم، ولو كان غريباً عنهم؛ لأشككت عليه دعوتهم والتّوفيق في إنذارهم.

الاهتمام الكبير
بما قاله هود



فائدة إطلاق
الأخوة تشويقاً
للإيمان

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 520 / 24.

ومسألة أخرى: هي أن إرسال نبيٍّ منهم هو بمنزلة شهادة من عندهم: أن هذا الرجل هو على أعلى درجات الأمانة والصدق والأخلاق؛ إذ لولا ذلك؛ لأنكروا عليه رسالتَهُ لهوانه في مجتمعه.

معنى ﴿أَلَا﴾ ودلالاتها في ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾:

همزة ﴿أَلَا﴾ في قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ للاستفهام، وإن احتملت أن تكون للتحضيض، ودخول الهمزة على (لا) نقلتها من النفي إلى الإثبات، وفي معناها إنكارُ هودٍ ﷺ فجورهم وتركهم تقوى الله.

دلالة التعبير بالتقوى مادةً وصيغةً:

قُدِّمَ قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ على جميع كلام هودٍ ﷺ، ودلَّ الفعل المضارع ﴿تَتَّقُونَ﴾ على الحال والاستقبال، فدعاهم إلى تقوى الله التي هي حصيلة الإيمان الصادق بالله تعالى، وإنَّما قُدِّم الأمر بتقوى الله تعالى على الأمر بطاعته؛ لأنَّ تقوى الله علةٌ لطاعته، فقُدِّم العلة على المعلول⁽¹⁾.

غرض حذف متعلِّق الفعل ﴿تَتَّقُونَ﴾:

في قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ حُذِفَ مُتَعَلِّقُ فعل التَّقوى لما سبق في دعوته إيَّاهم لعبادة الله وحده من تكرار الإنذار والوعيد من عذاب الله وسخطه، فإنَّما التَّقوى تكون من الله سبحانه؛ إذ عِلِمَ ذلك عندهم بالضرورة.

بلاغة الفصل والتوكيد في قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

قول هودٍ ﷺ: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، هو جملة خبرية فُصِلت عن الجملة الإنشائية في قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾، وسبب الفصل كمال الانقطاع بينهما؛ وذلك لاختلاف الجُمْلَتَيْنِ خبرًا وإنشاءً، لفظًا ومعنى، أمَّا سرُّ التَّوكيد في قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾؛ فلاَنَّ المُخَاطَبِينَ في مقام الشَّاكِّ بالرَّسالة، فأُكِّد بـ (إنَّ).

تكرار أسلوب
الدَّعوة عند هودٍ



التَّقوى هي
حصيلة الإيمان
الصادق بالله
تعالى

تقوى الله هي
مطلب المرسلين

الرَّسالة هي
مقتضى طلب
تقوى الله
سبحانه

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 521 / 24.

غرض تقديم ﴿لَكُمْ﴾ على خبر إن ﴿رَسُولُ آمِينَ﴾:

أفاد تقديم الجار والمجرور ﴿لَكُمْ﴾ التخصيص، فقصر إرسال الله له عليهم؛ اهتماماً بشأنهم، وطلباً لإيمانهم وميل قلوبهم إلى ذلك، وهو توكيد آخر يدل على ما علمه الرسول من حال إنكار قومه لرسالته.

سر تقييد ﴿رَسُولُ﴾ بوصف ﴿آمِينَ﴾:

في قوله: ﴿رَسُولُ آمِينَ﴾ ذكر أهم وصف يعرف به الأنبياء في أقوامهم، فرسول الله ﷺ كان يعرف في قومه بالصادق الأمين، وهي صفة الدعاة كذلك إلى دين الله من بعد الرسل، فإن لم يكن أميناً في إيصال الرسالة؛ فحتماً سيطر عليها التبديل والتحريف، وإيصال الرسائل السماوية من أخطر الأمانات وأعظمها.

دلالة العطف بالفاء في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾:

قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ الفاء للتفريع⁽¹⁾، وفائدة التفريع عمومًا أن يقصد المتكلم وصفًا ما، ثم يفرع منه وصفًا آخر يتعلق بالموصوف، يزيده تأكيدًا؛ ففرع هنا على ذكر الرسالة والأمانة تقوى الله وطاعته.

سر تكرار الأمر بالتقوى:

كرر هوذا الأمر بالتقوى ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ لأنه في الأول أراد: ألا تتقون مخالفتي، وأنا رسول الله، وفي الثاني: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ مخالفتي، ولست أخذًا منكم أجرًا، فهو في المعنى مختلف، ولا تكرار فيه، وقد يقول الرجل لغيره: ألا تتقي الله في عقوقي، وقد رببتك صغيرًا، ألا تتقي الله في عقوقي، وقد علمتك كبيرًا⁽²⁾.

أهم وصف
يوصف به
الأنبياء أنهم
(الأمناء)

الأمانة أهم
صفات الرسل
ﷺ

التفريع بالفاء
في قوله (فاتقوا
الله)

تقوى الله في كل
أمور الحياة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 165 / 19.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 520 / 24 - 521.

بلاغة عطف الطاعة على التقوى:

في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ عطف الطاعة على التقوى هنا؛ لأن تقوى الله تأتي مع الإيمان به سبحانه، وهذا يقتضي تبعاً طاعة الرسول؛ ليتبع الإيمان وتقوى الله بالعمل الذي شرعه الله للمؤمنين.

بلاغة العطف في قوله: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ﴾:

جملة النفي الأولى ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ﴾ معطوفة على جملة مقول القول: ﴿وَأَطِيعُوا﴾، والواو حرف عطف للجمع، فائدته بيان أن نبي الله هود عليه السلام بعد أن أمرهم بتقوى الله وطاعته، وهي بمجموعها نتيجة للإيمان الصادق بالله تعالى، فإنه ذكرهم هنا بانتفاء أي فائدة مادية يمكن أن يحققها رسول الله من دعوته هذه، فهو لا يسألهم على إيمانهم أجراً.

معنى (ما) ودلالاتها في ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ﴾:

(ما) في قوله: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ﴾ لنفي الاستقبال، أي: إنني لن أسألكم على دعوتي لكم للإيمان أجراً، فنفي سؤاله أجراً عن دلالتهم إلى طريق الإيمان والصّلاح كونها أعزّ السبل التي تبحث عنها المجتمعات الإنسانية؛ لما تحدثه من تغيير إيجابي في الحياة والمجتمع والأمة.

غرض تقديم ﴿عَلَيْهِ﴾ على المفعول به:

الجار والمجرور ﴿عَلَيْهِ﴾ في قوله: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أفاد تخصيص القول إشارة إلى الإيمان بالله، وما ينتج عنه من تقوى لله وطاعة للرسول، بل ينتج عنه تغيير شامل للإنسان، ناتج ذلك عن تغيير القنوات والأفكار.

معنى ﴿مِنْ﴾ ودلالاتها في: ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾:

﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ زائدة لتوكيد النفي؛ مبالغة في انتفاء أي أجر.

من ثمار التقوى
طاعة الرسول
والعمل
بالرسالة

الأنبياء يبذلون
البلاد حقاً لله
دون أجر تجرداً
لله وحده

أثر الإيمان على
المجتمعات
الإنسانية كبير
جداً

الإيمان بالله
تغيير شامل
للإنسان

فائدة التعبير بلفظ ﴿أَجْرٍ﴾ مادّة وصيغة:

قوله: ﴿مَنْ أَجْرٍ﴾ دلّ على أنّ ما يُقدّمه الرّسول لقومه هو أعظم شيءٍ في الوجود، وفي الآية معنى الحاضر والمستقبل، فهو ﷺ لم يخبرهم بالرسالة ابتغاء طلب الأجر، وإنّما صرّح بأنّ أجره على الله، ثمّ ورث ذلك الأمر العلماء والدعاة في كثير ممّا يبذلون من الجهد ابتغاء مرضاته سبحانه، و﴿أَجْرٍ﴾: الكراء على العمل، وهو الأجر والأجرة، وكان الخليل يقول: الأجر جزاء العمل، والفاعل: أجر⁽¹⁾.

بلادة أسلوب القصر:

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، في الآية قصرٌ بالنفي والاستثناء، فقصر الأجر على ربّ العالمين، وهو قصر قلب؛ إذ اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تشبّهه، فقد قلب المفهوم الذي يتصوره أهل الضلال أنّ المتحدث يريد منهم أجراً، أو رياسة بينهم، فقال: ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

تصدير القصص بـ: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾:

تصدير القصص بهذه العبارة فيها دلالة على أنّ البعثة مقصورة على الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه، ويُبعده عن عقابه، وكأنّ الأنبياء مُتفقون على ذلك، وإن اختلفوا في بعض التفاريع مُبرّئين عن المطامع الدنيئة والأغراض الدنيوية⁽²⁾.

معنى ﴿عَلَى﴾ ودلالاتها في ﴿عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

تفيد (على) الاستعلاء، كما قال سيبويه: "أما (على)؛ فاستعلاء الشّيء"⁽³⁾، وفي الآية: ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فمعنى الاستعلاء في قوله: ﴿عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بيان لتمكّنه من استحصال الأجر كاملاً من الله تعالى، ولو كان الأجر على النّاس؛ لما استحصل، فبيّن أنّ أجره

خيرُ العمل ما
كان ابتغاء وجه
الله احتساباً
للأجر منه

قلب المفهوم
الذي يتصوره
المخاطب

الأجر على دعوة
النّاس للإيمان
ليس له أجر
إلا الجنة خالداً
فيها

ضمّان
استحصال الأجر
من ربّ العالمين

(1) البضاوي، أنوار التنزيل: 4 / 145.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: 1 / 62.

(3) سيبويه، الكتاب: 2 / 310.

مضمونٌ مستحصل بأضعاف مضاعفة، وعلى العموم يمكن أن يكون في الآية تضمينٌ؛ إذ المعنى: من ربِّ العالمين، فالأجرُ يكون من الله سبحانه، فضمنَ ﴿عَلَى﴾ معنى (من)؛ ليدلَّ على قضيتين: الأولى: أنَّ الله تكفلَ وضمنَ للرَّسول أجره، وهذا معنى ﴿عَلَى﴾، والثاني: أنَّ أجره قادمٌ من عند الله سبحانه، وهذا معنى (من).

إثثار التعبير بالربوبية ودلالته:

إثثارُ التعبيرِ بالربوبية مناسبة ذِكرِ الأجر على الأعمال، فالربُّ هو الخالق والرزاق، وهو المتكفل بأجر النَّاس على أعمالهم، وما أجرُ الرَّسول أو الداعي إلى الإيمان إلا الجنةُ خالدًا فيها، وما جاء به الأنبياء من هداية النَّاس إلى الإيمان والتَّوحيد، ونبذ الشِّرك والطُّغيان: هو أعظمُ ما يمكن أن يناله إنسان في الحياة.

سرُّ إضافة الرَّبِّ إلى لفظ ﴿الْعَلَمِينَ﴾:

في قوله: ﴿عَلَى رَبِّ الْعَلَمِينَ﴾ أُضيف الرَّبُّ إلى لفظ ﴿الْعَلَمِينَ﴾، بمعنى: أنَّه خالقهم ورازقهم ومُربِّيهم ومُقدِّرُ أمورهم بما يحدث الانسجام الكوني في العلاقات بين المخلوقات من الأحياء والجوامد.

❁ الفروق المعجمية:

الرَّسول والنبي:

الفرق بين النَّبيِّ والرَّسول في الإسلام: أنَّ الرَّسول بعثه الله برسالة وشرع جديد، أمَّا النَّبيُّ؛ فهو الذي نَزَلَ عليه الوحي من الله، ليدعو النَّاس إلى عبادة الله على شريعة نبيِّ سابق، فقوله في الآية: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾، دلَّ على تكذيب الرِّسالات السَّماوية، التي أوحاها الله إلى الرُّسل؛ لأنَّها كُلُّها دعوتها واحدة إلى الإيمان بالله وحده، وتقوى الله وطاعة الرَّسول فيما أمر، فكلُّ رسولٍ نبيٍّ، وليس العكس.

ما جاء به
الأنبياء من
الهداية هو
أعظم ما يمكن
أن يناله إنسان
في الحياة

الله خالق
العالمين
ومربِّيهم

الرَّسول مبعوث
برسالة، والنَّبي
دون رسالة

الأجر والمال:

الأجر: عِوَضُ العمل والانتفاع، أو ما يُعْطَى مقابلَ شيءٍ، ويكون
 الأجرُ على قَدَرِ المشقَّةِ، أمَّا المالُ؛ فهو العِوَضُ عن القيام بعمل يُعْطَى
 الأجير مَالاً أو عِوَضاً مُتَّفَقاً عليه، فالأجر قد يكون مَالاً أو غيره.

الأجرُ قد يكون
 مَالاً أو غيره

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعْرَاء من الآية 96 إلى سورة النَّمل الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعْرَاء من الآية 96 إلى سورة النَّمل الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعْرَاء من الآية 96 إلى سورة النَّمل الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-84-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»